

الموقف الأشعري المعاصر

بين الفلسفة وعلم الكلام:

(سعيد فودة انموذجا)

**The Contemporary Poetic Position
Between Philosophy and Theology:**

Saeed Fuda as a Model

م. د. رواء راضي محمد

ROAA R. M. Al-lami

الجامعة المستنصرية / كلية الآداب

Almustansiriyah University/ College of Arts

drroaaradie@uomustansiriyah.edu.iq

الملخص

تُعد العقيدة الأشعرية المعاصرة هي اتجاه فكري ديني ينتمي الى مذهب أهل السنة، ويتميز بتحليل وتطوير المفاهيم والمبادئ الأساسية التقليدية لتكون متوافقة ومتلائمة مع تحديات ومتطلبات العصر. وتعتمد على مذهب الإمام الأشعري المعروف بتتبع المنهج الديني الرسمي في ترسيخ العقائد والمعتقدات في الإسلام.

وقد تطور علم الكلام مع مرور الوقت وتكيف مع التحولات والتغيرات في المجتمع والعلوم المعاصرة وتناول قضايا مهمة منها الحرية والإسلام والبحث في مفهوم العدالة، والعلاقة بين الدين والحقوق الطبيعية للإنسان، فضلاً عن قضايا متعلقة بالمرأة بطرق مختلفة، لتواكب العصر الحديث ولتوفير إجابات على أسئلة وشبهات المسلمين في العصر الحاضر فقد سعى سعيد فودة وهو قطب من أقطاب المذهب الأشعري وباحث ومفكر في مجال العقائد الإسلامية، ومحقق ومتكلم وفق المنهج الأشعري المعاصر الى توضيح وقراءة المعتقدات الأساسية في الإسلام ودراسة المفاهيم الدينية وتشجيع النقاش الهادف حول القضايا الدينية والاجتماعية الراهنة، وعد الفلسفة عنصراً مهماً للكشف عن المفاهيم والأحكام فهي صانعة ومخترعة لها وعنصر تجديدي للعلم التقليدي القديم.

وتمثل علم الكلام المعاصر عند سعيد فودة بأنه تجديد للعقيدة الكلاسيكية متضمن الاستنباطات والتفسيرات الجديدة وتوضيح القيم الأساسية للإسلام، وقد عد العلاقة بين الفلسفة وعلم الكلام علاقة ترابط وتكامل حيث يعمل كلا المجالين في تطوير وتعميق الفهم الفلسفي والوصول الى إجابات مقنعة عن الأسئلة الكبرى المرتبطة بالعالم والإنسان.

الكلمات المفتاحية: سعيد فودة، الفلسفة، علم الكلام، الأشاعرة

Abstract

Contemporary Asha'ri doctrine is a religious intellectual trend belonging to the doctrine of Ahlu Sunna, characterized by the analysis and development of basic concepts and principles Traditional to be compatible with today's challenges and requirements. It relies on Imam al-Ashari's doctrine, known for tracking the official religious curriculum in entrenching beliefs and beliefs in Islam. Speech science has evolved over time and adapted to transformations and changes in society and contemporary science, addressing important issues such as freedom, Islam and research into the concept of justice, The relationship between religion and human rights, as well as women's issues, In various ways to keep pace in modern times and to provide answers to questions and suspicions of Muslims in present times, Saeed Fuda, a magnate of the poetic doctrine, researcher and intellectual in the field of Islamic beliefs, sought An investigator and speaker in accordance with the contemporary poetic curriculum to clarify and read basic beliefs in Islam, study religious concepts and encourage meaningful debate on current religious and social issues; The promise of philosophy is an important element for the disclosure of concepts and judgments that it is a manufacturer and an inventor of. and a renewal of the old traditional flag. The representation of contemporary speech science at Saeed Fuda as a rejuvenation of the classical doctrine includes new deductions and interpretations and clarification of Islam's core values in the light of contemporary challenges and changes. Saeed Fuda showed the compatibility between philosophy and speech science and promised a relationship of interdependence and complementarity where both areas contributed to the development and deepening of Philosophical understanding and achieving convincing answers to the big questions associated with the world and humanity.

Keywords: Saeed Fuda, Philosophy, Theology, Al-Asha'ris

المقدمة

لم يُسدل التاريخ بعد ستارة على موضوع علم الكلام، ومازال مثار جدل وبحث ودراسة عند الكثيرين وأهميته تكمن في أنه علم مهم في المذاهب الإسلامية والفرق الكلامية لذلك لا بد تغير الإيهام الذي يوحى أن موضوع تاريخي لا علاقة له بمقتضيات العصر، وبذلك عد علم الكلام المعاصر من المسائل المهمة في الفكر الأشعري واكتملت معالمة على يد المجتهدين المتأخرين والمفكرين المعاصرين وأخص بالذكر سعيد عبد اللطيف فودة الذي تناول أساسيات هذا الموضوع وكتبه وآرائه نموذجاً لبحثنا هذا.

وعليه قسمت الدراسة على مضامين ثلاثة الاول جاء الحديث فيه على روافد المذهب الأشعري الفكري وتبسيط الضوء على الشخصية المنتخبة لبحثنا الحالي، والقسم الثاني تمثل بتعريف عام للفلسفة وعلم الكلام فقد عمدنا الى إعادة قراءة المفهومين قراءة جديدة وفق رؤية معاصرة، اما الاخير خصّص للمقارنة بين رؤى الفلاسفة والمتكلمين وتوضيح مجمل المقارنة بين الفلسفة وعلم الكلام في محطاتها الاربعة (من حيث الموضوع - الأدلة والوسائل المستعملة - الغاية - المبادئ).

أولاً: علم الكلام الأشعري المعاصر وروافده الفكرية:

بعد وفاة النبي ﷺ بقي للشريعة الإسلامية مصدر متجدد دائم يتولى إرشاد الأمة وهدايتها، وهو الإجماع، والإجماع كمعنى اصطلاحى عند الأشاعرة وكما يوضح البغدادي (هو الإجماع المعتبر في الحكم الشرعي مقصور على إجماع أهل عصر من عصور هذه الأمة على حكم شرعي فإنها لا تجتمع على ضلالة)، (البغدادي، ١٩٢٨، صفحة ١٨) ويتابعه الأيجي في ذلك، وهو عند الجويني (اتفاق أمة أو اتفاق علمائها على حكم من أحكام الشريعة)، (الجويني، ١٩٩٦، صفحة ٦).

ويذهب الغزالي في المنخول الى ان الإجماع هو (اتفاق أهل الحل والعقد) (الغزالي ١، ١٩٩٨، صفحة ٣٠٣) وتتفق الإمامية هنا بان الإجماع هو (اتفاق أهل الحل والعقد من أمة محمد ﷺ على أمر من الأمور وهو حجة لكنهم لا يعتبرون الإجماع دون قول المعصوم) (الحلي، ٢٠٠١، صفحة ٢٠٣) ويقترب الشيعة الزيدية في مفهوم الإجماع من أهل السنة فيقسمون الإجماع الى ثلاثة انواع، الاول: وهو الاجماع المشابه للإجماع عند اهل السنة اي اتفاق العلماء المجتهدين في كل العصور، والثاني وهو الخاص الذي يتفق عليه المجتهدين من ال البيت الذي يسمى ايضا إجماع العترة، وهو عندهم الاربعة المعصومون: علي وفاطمة والحسن والحسين، والثالث: الإجماع العام أو إجماع الأمة كلها في المقررات التي علمت في الدين بالضرورة (حلمي، ٢٢٠٤، الصفحات ٢٩٣-٢٩٤).

وبالرغم من إعطاء أهل السنة أهمية عظمى لأصل الإجماع كمصدر من مصادر التشريع إلا انهم اختلفوا حول اهل الإجماع وحدوده، وهل انه يقتصر على جيل الصحابة ام يشمل العصور اللاحقة، وهل يعني إجماع الفقهاء فقط أو اهل الحل والعقد ام يشمل جميع المسلمين الى غير ذلك من الاستفهامات التي لسنا بصدد ذكرها هنا كونها تحتاج الى بحث خاص منفرد.

وعلى كل حال ووفق المنهج الأشعري ممكن القول ان الشافعي أوضح قيمة الإجماع وأثبت حجته وحدد مكانه كمصدر من مصادر التشريع وأول إجماع يعتبره الشافعي هو إجماع الصحابة ثم إجماع المجتهدين في اي عصر بعدهم، والإجماع هو القاعدة الأساسية التي تبنى عليها نظريات اهل السنة في الإمامة (الريس، ب.ت، صفحة ١٠٢).

ويعد المرتبة الثالثة من مصادر التشريع الإسلامي، وإن اعتبار إجماع الأمة مصدراً للتشريع الإسلامي، هو نواة المبدأ الحديث الذي يجعل إرادة الأمة مصدر السلطات والذي يعبر عنه بمبدأ سيادة الأمة في النظم العصرية هذا المبدأ الذي يقوم عليه التشريع

..... الموقف الأشعري المعاصر بين الفلسفة وعلم الكلام

الإسلامي، هو نفس المبدأ الذي يقوم عليه النظام النيابي الحديث لكن الذي يميز النظام الإسلامي أن ممثلي الأمة في القيام بوظيفة التشريع هم المجتهدون أي العلماء الذين يعترف لهم بالوصول الى مرتبة الاجتهاد (السنهوري، ب.ت، صفحة ٦٦). وقد اشتهر عند جمع من العلماء أن أهل السنة والجماعة هم من سار على نهج النبي ﷺ وأصحابه الكرام (عليهم رضوان الله تعالى).

ولم ينحرفوا بابتداع ولا بهوى، وجاءت نسبتهم الى السنة إشارة الى حفاظهم عليها، وعملهم بها تحقيقاً لكونها وحياً من عند الله تعالى، ولكونها صادرة من رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى وفي مقابل من شكك في الأخذ بها وفي اعتبارها مصدراً من مصادر التشريع كبعض المبتدعة الذين رفضوا العمل بها مع القرآن، ومن وافقهم في هذا الزعم من المعاصرين سواء كانوا من العلمانيين او منحرفي الأفهام، وأما نسبتهم الى الجماعة فالمقصود منهم إجمالاً جماعة الحق، وقصداً أول صحابة النبي ﷺ، ثم صار اسم أهل السنة والجماعة علماً مخصوصاً بهم، (فودة، ٢٠١٠، صفحة ٢). وأعظم من مثل مذهب أهل السنة والجماعة ودافع عن عقائده وترويج مفاهيمه ورد خصومه هم الأشاعرة والماتريدية.

ويستمر الحديث عن روافد المذهب الأشعري لكن نختصر على ما ذكرنا خوفاً من الإطالة وأن جهود أهل الحق في المذهب الأشعري تستمر في الدنيا شرقاً وغرباً حتى أيامنا هذه، فمن الأعلام الذين أثروا بأعمالهم في هذا المجال والذين كان لهم أثر عظيم بعلم التوحيد وغيره من العلوم في هذا العصر، هو سعيد فودة لذلك سنقف لتعريف هذه الشخصية كونها صلب موضوعنا الأساسي.

سعيد فودة

هو سعيد عبد اللطيف فودة (١٩٦٧) مفكر وباحث في مجال العقائد الإسلامية محقق ومتكلم وفق منهج أهل السنة الأشاعرة في العصر الحالي، من أصل فلسطيني ويقيم حالياً في الأردن، التحق بكلية الشريعة في الجامعة الأردنية وحصل على البكالوريوس في الشريعة ونال درجة الماجستير منها أيضاً وكانت رسالته بعنوان (ابن رشد في الفلسفة الغربية والمفكرين الحداثيين).

وحصل على الدكتوراه من جامعة العلوم الإسلامية بعنوان (الأدلة العقلية على وجود الله بين المتكلمين والفلاسفة دراسة مقارنة)، له دراية واسعة بعلوم الفلسفة والمنطق وله العديد من المؤلفات في مجال العقائد والرد على الألحاد والفلسفات المعاصرة، بدأ اهتمامه بالعلم منذ صغره ودرس على يد الشيخ حسين الزهيري متوناً في الفقه الشافعي وقرأ عليه القرآن وتعلم منه العديد من المسائل في اللغة العربية وغيرها ثم أكمل دراسته على الشيخ سعيد العنبتاوي (فودة، ٢٠٢٢) وحفظ عنده حوالي ثلثي القرآن، ودرسه علم التوحيد ثم الخريدة البهية وجوهرة التوحيد ويقول سعيد فودة بهذا الصدد (لم يُقم بتدريس علم التوحيد لغيري آنذاك لما رآه من حرصه عليه واهتمامي به، واحضر لي من مصر شرح الدردير على الخريدة (وهو من أشهر المتون المنظومة في علم التوحيد)، وطلب مني أن أقوم باختصارها مختصراً يفيد طلاب هذا العلم بحيث يكون موجزاً فتمت بذلك بفضل الله تعالى وعرضه عليه، وطلب مني أن أقوم بتدريسها لطلاب العلم).

ويوضح سعيد فودة بعد ذلك أنه زاد اهتمامه جداً بعلم التوحيد وصار يوجهه معظم وقته لتدريسه وتدريس الأصول والنحو، ومنذ حوالي سبع سنوات التقيت بالمحقق المدقق ويقول (البارع العلامة إبراهيم خليفة بقية السلف من علماء أهل السنة البارع في علوم التفسير والأصول والمنطق...

..... الموقف الأشعري المعاصر بين الفلسفة وعلم الكلام

قد أجازني إجازة في مختلف العلوم كعلم التفسير ودقائقه وشرح الحديث وعلم التوحيد، وقال إنه لم يحز احداً قبلي مثلها، وأمرني في الإجازة بالوقوف ضد المبتدعة والمخالفين لأهل السنة، وقد عرضت عليه كتيبي وباحثني في بعض ما كتبت، وسرّ منها كثيراً، وقد عرضت عليه بعض أجوبتي التي وجهها إلي بعض الأخوة في متدى الأصلين قبل نشرها وقرأتها عليه وأجازها لي، وكان يسألني أحياناً في بعض دقائق المسائل ويسرّ كثيراً من أجوبتي، وأنا مازلت اعتبره قدوتي في ذلك وأعرف له قدره).

ويطول الكلام في التحدث عن أستاذه سعيد فودة لكن لا يتسع المجال لذكرهم جميعاً، وقد درس فودة العديد من الكتب في علم التوحيد والأصول والمنطق والنحو وغيرها وناظر العديد من المخالفين من المجسمة والشيوعيين والعلمانيين وقام بإلقاء المحاضرات والاشتراك في المؤتمرات والندوات في بعض البلدان كمصر وسوريا وماليزيا وهولندا فضلاً عن الأردن وقام بتأليف العديد من الكتب دفاعاً عن مذهب أهل السنة (شرحاً وتوضيحاً ورداً) منها شرح المسلم المنورق، وشرح صغرى الصغرى، وتدعيم المنطق، ونقض التدميرية، وتهذيب شرح السنوسية، والكاشف الصغير، والتعليقات على الأخميمي وغيرها وجميعها مطبوعة.

ولابد من ذكر أن لسعيد فودة نشاط علمي على شبكة الانترنت من خلال متدى الأصلين الذي يشرف عليه وهو متدى متخصص في الدراسات العقائدية، والفقهية وكذلك له موقعه الخاص على الشبكة يعرف بموقع الإمام الرازي، وهذا الموقع يشمل مكتبة ضخمة للعلوم الإسلامية وقد أثريت هذه المكتبة بالكتب القيمة والمخطوطات النفيسة والمقالات العلمية التي تسهم بشكل أو بآخر في نشر تراث وعقائد أهل السنة والجماعة (فودة، ٢٠٢٣).

ثانياً: الفلسفة وعلم الكلام المعاصر

تعريف الفلسفة:

من المعروف أن الأصل الذي اشتق منه إسم فلسفة، يعود الى مفهوم (حب الحكمة) وقد شرح لنا أفلاطون معنى الحكمة في محاوره (المأدبة) وفي محاوره (فيدروس) وذكر أن هذا الحب لا يتجه الى الأشخاص فحسب بل يتعلق أيضاً بالأشياء وبالأفكار فكان ثمة حباً يرتبط بالفكر فيتجه الى طلب الجمال بالذات خلال نفوسنا وأجسامنا الجزئية، فالحب عند أفلاطون شرط جوهري للتفلسف والفيلسوف هو المحب الصادق الذي يهيم عشقاً بالجمال (عويضة، ب.ت، صفحة ٥).

ويوضح لنا سعيد فودة أن حب الحكمة هو مركب إضافي، يفيد التشوق الى امتلاك الحكمة، والحكمة هي وضع الشيء في موضعه الملائم له، بحيث تترتب عليه المصلحة والمنفعة أو بحيث يكون موافقاً لعلم الفاعل ولكن ليس من المفترض أن يبقى هذا المعنى أي (حب الحكمة) الأساس الذي تبنى عليه الفلسفة في العصر الحاضر، فإن من القريب جداً أن يحصل خلاف في مصداق الحكمة، وذلك بعد الاتفاق على المفهوم العام لها، لأن هذا المفهوم قد يكون اعتبارياً، أو أمراً مشتركاً أو نسبياً يختلف مصداقه بحسب الناظر، وبناء على ذلك فإن حب الحكمة بهذا المعنى لا يستلزم بالضرورة أن يكون الحاصل من فعل التفلسف متشخصاً بشخصية واحدة في الوجود الخارجي، بل مجرد كونه اعتبارياً أدعى لاختلاف ما يصدق هو عليه خارجاً.

فضلاً عن أن حب الحكمة، مجرد دعوى يمكن أن يدعيها أي باحث، وقد يكون في دعواه صادقاً أو كاذباً، ولكن مجرد هذه الدعوة لا تستلزم بالضرورة أن ما يقدمه إلينا على أنه نتاج بحثه الفلسفي هو الحكمة أو لازم الحكمة، ولذلك يمكن الاعتراض على إبقاء ترجمة الفلسفة بالحكمة، والفلاسفة بالحكماء كما هو معتاد عليه عند كثير من أهل العلم، وذلك الاعتراض قد يؤيد ما نص عليه كثير من متقدمي الفلاسفة من الفرق بين الفيلسوف الإلهي والفيلسوف غير الإلهي، وأن المستحق لهذا الاسم (الحكيم) هو

..... الموقف الأشعري المعاصر بين الفلسفة وعلم الكلام

النوع الأول لا الثاني، بل في وصف بعض الفلاسفة للنوع الثاني ما يفيد خروجهم عن مقتضى الحكمة، فلا يستحقون التسمية من أصلها.

والملاحظ هنا أن الفلسفة في ماهية مفهومها تشتمل على أمر اعتباري غير متعين خارجاً بالضرورة لذاته بل بالاعتبار، وهذا ما يؤهلها لكثير من الاختلافات الى ما لا يعد ولا يحصى من حيث الإمكان (فودة، ٢٠١٠، الصفحات ٧-٨).

ومن جهة أخرى فإن الفلسفة تشتمل على عنصر آخر يشترك فيه جميع الفلاسفة وهو عنصر النظر الفكري، فإنه أساس من أسس الفلاسفة مهما اختلفت ألوانها أو تنوعت وليس من الضروري أن يكون حقيقة النظر مجرداً أو عملياً أو علمياً أو غير ذلك ولكن لا بد أن يكون نظراً في ذاته ولغلبة هذا العنصر على التفلسف فإن الموقف العملي إذا وصف بأنه فلسفي فإن المقصود بذلك ابتناؤه على نظر فلسفي، وكل فيلسوف تبعاً لما ذكر يزعم أن ما يلفقه من أقوال ويرتبه من أفكار تأملات مفضية الى الحكمة، المتعددة الألوان والمشارب، أو المختلفة تشخيصاً في الخارج.

فالفلسفة تشتمل في جوهرها على دعوة الاشتغال على الحكمة إما بعينها أو طريقها والمفضي إليها، ولذلك فإن الفيلسوف يزعم أن ما يقرره دائماً هو الحق أو المفضي إليه، حتى الفيلسوف السفسطي فإن يشتمل على الدعوى نفسها، فغاية ما يلخصه لنا أنه لاحق إما مطلقاً أو نسبياً بحسب تنوع تجليات السفسطة، لذلك من المهم في تعريف الفلسفة الاقتصار على ذكر أهم عناصرها، وليس الركض وراء تعريف مطرد منعكس بحسب ما هو معروف عند الأصوليين أو المتكلمين فإن الاطراد والانعكاس في ظل المفاهيم الاعتبارية التي تتنوع مصاديقها أنواعاً خارجاً بلا ريب (فودة، ب.ت، الصفحات ٨-٩).

وهذا يعرف سعيد فودة الفلسفة في الحاضر هي قاعدة الحياة والسمة المؤسسة على يقين فكري وعلى ركيزة واقعية معروفة بشكل مناسب وصلبة قدر الإمكان (فودة، ب.ت، صفحة ٤) وتعرف أيضاً بفعل التفلسف، أي النظر ويمكن أن تحدد بغاية

معرفة الحق مثلاً أو ترتيب المصلحة للإنسان، وترتيب المصلحة إما بمطابقة أصل الوجود بعد معرفة صورته، أو بتغيره ليكون خادماً للإنسان ولذلك فالفلسفة إما أن تكون وظيفتها كاشفة عن المفاهيم والأحكام أو صانعة مخترعة لها، غير ناضرة الى كونها مطابقة للحق الثابت أو غير مطابقة ويختلف الفلاسفة بحسب ذلك أيضاً في نتائجهم كما لا يخفى (فودة، ب.ت، صفحة ١٢).

يتضح لنا مما تقدم ان الفلسفة في الزمن المعاصر عند سعيد فودة تهتم بدراسة المسائل الرئيسية والأساسية التي تخص الانسان وتسعى لفهم الحقائق العميقة والمعنى الأعمق للأشياء وتتناول مسائل مهمة في الوجود واللاوجود، وتتمحور حول النظر والنقد البناء وتشجع التفكير النقدي والتحليلي وتعزز الوعي بالذات وبالعالم من حولنا.

المفاهيم الدينية المستنبطة من الفلسفة:

يرى سعيد فودة أن الفلاسفة أنفسهم اعتمدوا على المفاهيم الدينية وهذه المفاهيم مستنبطة من فلسفاتهم ومن هذه المفاهيم هي:

١) البديهيات: هي القضية الضرورية التي لا يتوقف التصديق بها على نظر وكسب، وهي أصل اليقينيات.

٢) المسلمة: هي عبارة عما يحصل التسالم عليه بينك وبين غيرك على صدقها، سواء كانت صادقة في نفس الأمر أو كاذبة أو مشكوكة.

٣) المصادر: هي المبادئ التصديقية غير اليينة بنفسها ويأخذها المتعلم من المعلم بالإنكار والشك.

٤) المبرهنات: سواء بالعقل أو التجربة أو بغير ذلك من الوسائل المعتمدة.

يوضح فودة أن هناك ملاحظات حول هذه المفاهيم حيث أن الملاحظة تكمن أنه لا يمكن للفلاسفة أن يدعوا أن كل ما يقررونه مبني على بديهيات ومبرهنات لوجود

..... الموقف الأشعري المعاصر بين الفلسفة وعلم الكلام

متناقض، أما الملاحظة الثانية هي ثبت بالفعل أخذ الفلاسفة من الأديان، واستنبطوا ذلك، وإن حاولوا الدعوى أنها نتيجة النظر المحض، (فودة، ب.ت، الصفحات ٦-٧)، ويذكر فودة بعض الأمثلة للتوضيح سنذكرها في ما بعد ضمن موضوع المقارنة بين الفلسفة وعلم الكلام.

تعريف علم الكلام:

يعرف سعيد فودة علم الكلام بأنه علم التوحيد (فودة، ٢٠٠٠، صفحة ١٦) وهو أهم العلوم الإسلامية بما يؤديه من وظائف ومهام (فودة، ٢٠٠٢، صفحة ١٠)، والمقصد الأعلى منه هو إثباته تعالى، فإذا لم يثبت وجود صانع عالم قادر مرسل للرسول منزل للكتب لم يتصور علم تفسير وحديث وفقه وأصوله، فكلها متوقف على علم الكلام، ولذلك اعتبر العلماء علم الكلام، أهم العلوم على الإطلاق ومقدماً على سائرهما (فودة، ب.ت، صفحة ٣٧).

ويوضح فودة أن هناك معنيان مهمان نستفيدهما من تعريف علم الكلام:

المعنى الأول: هذا العلم يبحث في أصول الدين وفروعه، ولكن من ناحية كلية، فيبحث في أصول الدين من حيث بيانها وإثباتها، ويبحث في فروع الدين من حيث تمييزها عن الأصول، ويمهد بإثبات القواعد التي لا يمكن تقرير الفروع إلا عليها.

المعنى الثاني: لهذا العلم موقع عظيم في العلوم الدينية، ويلزم عن ذلك أن يكون له تأثير بالغ في سائر العلوم، وذلك كون الدين له مدخلة في أكثر العلوم البشرية، إما مباشرة أو بالعرض (فودة، ب.ت، صفحة ٣).

وبين سعيد فودة أن لعلم الكلام غاية معينة وقبل الولوج بغاية علم الكلام يعرف الغاية بصورة عامة بأنها ما يتأدى إليه الشيء ويترتب عليه، وهذا الشيء من حيث يطلب بالفعل يسمى غرضاً، ثم إن كان مما يتشوقه الكل يسمى منفعة.

ويوضح إن غاية الكلام هي: أن يصير الإيمان والتصديق بالأحكام الشرعية متيقناً محكماً لا تزلزله شبه المبطلين، ومنفعته في الدنيا انتظام أمر المعاش بالمحافظة على العدل والمعاملة التي يحتاج إليها في بقاء النوع على وجه لا يؤدي إلى الفساد، وفي الآخرة النجاة من العذاب المرتب على الكفر وسوء الاعتقاد (فودة، ب.ت، صفحة ١١).

وبعد أن عرفنا تعريف علم الكلام وفائدته وغايته نطرح السؤال التالي هل نحن محتاجون إلى علم الكلام؟ فنجد الجواب الصريح للسؤال المفترض بقول سعيد فودة (أننا نحتاج إلى علم الكلام، أي أننا نحتاج فعلاً احتياجاً دائماً إلى البحث في مواضع علم الكلام وذلك لأن الشبه الواردة على الدين لم تنته ولن تنته حتى يأتي آخر الزمان في هذه الحياة الدنيا، ومعنى ذلك أن الصراع بين الحق والباطل لن يزول، والمدافعون عن الحق يحتاجون إلى علم يمكنهم من أداء وظيفتهم، وهو علم الكلام) (فودة، ٢٠٠٩، صفحة ٣٠).

ويعطي سعيد فودة أمثلة على قوله هذا: أن الفلسفة المادية الديالكتيكية الماركسية والتاريخية عندما أقامت نظرتها على القول بعدم وجود شيء إلا المادة وجعلت الاعتقاد بوجود وراء المادة من باب الخرافات والأوهام، وبناء على ذلك نفت الحاجة إلى الأديان لعدم واقعية الأديان ولذلك أدرجت الفلسفة الماركسية الأديان كلها في تصنيفها في ضمن الفلسفات المثالية أي التي ليس لها واقع خارجي.

وهذا فيه نفس لأساس الأديان، فهذه مشكلة لا يمكن للفقيه أن يواجهها ولا للمحدث من حيث هو محدث أن يحلها ولا لغيره، بل يحتاج ذلك لعالم متمكن من إدراك قواعد وأصول كلية لهذا الوجود، ومتمكن من آليات عصره العلمية ومتبحر في العلم، ليتمكن بعد ذلك من هدم هذه الادعاءات بأسلوب يفهم الخصوم ويطمئن المؤمنين ويثبتهم، ومن ذلك أيضاً ما أدعته الفلسفة الماركسية من إمكان اجتماع النقائص والأضداد في الوجود الخارجي ولم يكتفوا بالقول بالإمكان حتى قالوا بوجود وجود التناقض في الوجود الخارجي المحصور عندهم بالمادة فقط، وذلك لأن

..... الموقف الأشعري المعاصر بين الفلسفة وعلم الكلام

التناقض الداخلي هو البديل الوحيد عندهم لإعطاء المادة حركتها التطورية، فالتناقض الخارجي عندهم بديل عن الفعل الإلهي والأمداد الدائم بإيجاد العالم على ما هو عليه من صفات، فمن الذي يمكن له أن يبطل لهم هذا النظر الساذج في الحقيقة، إلا أن يكون متمكناً في علم المنطق وعالملاً لأقصى ما يمكن من حقائق وقوانين وصفات هذا العالم، فيقوم بإبطال إمكان اجتماع النقيض، وإثبات استحالة قدم المادة بملاحظة ما تحتوي عليه من صفات وهذه هي وظيفة المتكلم، وكذلك من الذي يمكن أن يرد على الفلسفة البراهمية النفعية التي زعمت أن الدين والإله عبارة عن فكرة في الدماغ فقط أو في النفس الإنسانية، وأنهم لا يمانعون من القول بهذه الفكرة، بمقدار ما تجلبه لهم من نفع ومصلحة لهم في وجودهم الخارجي، فجعلوا مقياس الأفكار عموماً ما تجلبه لهم من منافع بغض النظر عن واقعيتها ومصادقها في الخارج.

وكذا ما تزعمه الفلسفات المعاصرة من إنكار مقولة الحق أو تعددها بناء على نوع من الفلسفات السفسطائية وتوسلوا بذلك إلى إنكار حقيقة الدين الإسلامي وعدم وجود ميزه له على غيره من الأديان الأخرى سماوية كانت أو غير سماوية (فودة، ٢٠٠٩، الصفحات ٣٠-٣١).

وهكذا فإن هناك الكثير من المواضيع التي لا يمكن أن يتصدى للرد عليها إلا أصحاب علم الكلام ويؤكد فودة أنه لا ينكر هذا العلم إلا من كان جاهل بحقيقته، أو مبتدع يخاف أن تظهر أصول بدعته إن عرضها على محك قواعد علم الكلام والنظر الكلامي.

التجديد في علم الكلام:

يرى سعيد فودة ان الحاجة تقتضي الى التجديد في علم الكلام ويكمن التجديد هذا على نحوين الآتين:

الأول: التجديد في مناهجه، وإضافة ما يمكن إضافته، وأن كان هذا المجال فيه نظري محدود بملاحظة، ما قدمه إلينا علماؤنا الأوائل.

الثاني: التجديد بإضافة مسائل جديدة فيه تشتد الحاجة الى معالجتها وتقديم الحلول المناسبة لها، ولا يوجد علم لائقاً بمناقشتها أكثر من علم الكلام. ومن هذه المسائل:

- ❖ مسألة الحرية والإسلام، على مستوى الأفعال وعلى مستوى التفكير.
- ❖ مسألة الإعلام والعدل، والبحث في مفهوم العدالة.
- ❖ مسألة حقوق الإنسان والعلاقة بين الدين والحقوق الطبيعية للإنسان ومتى يعتبر الشيء حقاً للإنسان وبأي مفهوم يعتبر حقاً له.
- ❖ القضايا المتعلقة بالمرأة وهل المطلوب المساواة أو العدالة، وعلى أي شيء تبني العدالة.

ويضيف سعيد فودة أن التجديد في علم الكلام يفسح مناقشة كثير من المباحث الفلسفية والعلمية المعاصرة التي تثير إشكالات لا بد من معرفتها: كنظرية النسبية، والزمان والمكان، وهل الماضي موجود الآن، وهل الزمان أزلي والمكان لا حدود له، أم أن الزمان والمكان أمران محدودان، ويجب أيضاً مناقشة مسائل أخرى نحو علاقة أجزاء العالم بعضها ببعض هل هي علاقة العلية، والمعلولية أم هي على نمط آخر يتناسق مع العقيدة وأصول التوحيد، ويوضح أن إدخال هذه المسائل ليس غريباً عن علم الكلام أو أنه تحريف وإضافة لم يكن القدماء متبهمين إليها، لأننا نقول إن هذا من نفس منهج علم الكلام ولذلك فقد أدخل علماؤنا المتقدمون مسائل كالمسح على الخفين والإمامة

..... الموقف الأشعري المعاصر بين الفلسفة وعلم الكلام

أنهما من المسائل الفرعية، ملاحظين في ذلك جانبها الاعتقادي (فودة، ٢٠٠٥، الصفحات ٣٠-٣١).

وعليه يمكن لنا القول ان اغلب المسائل هي لم تكن دخيلة على علم الكلام وان كان العلماء المتقدمون تناولوا بعضاً منها بشيء من التفصيل (كالمسح على الخفين والإمامة) قد فصلوا هذه المسائل واهتموا بشرحها ووضعوا لها تفاسير بناءً على النصوص الدينية والتقاليد النبوية، فمثلاً في مسألة المسح على الخفين أجمعت الشيعة الإمامية الإثنا عشرية ان الحكم الشرعي في الوضوء على الرجلين على التعيين بحيث لو ان المكلف غسل رجله وحتى لو جمع بين الغسل والمسح بعنوان انه الواجب والتكليف الشرعي يكون وضوؤه باطلاً بالإجماع مستنديين الى قوله تعالى (وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم)، تكون الآية دالة على المسح دون الغسل وهذا رأي علماء الإمامية في مقام الاستدلال بهذه الآية الكريمة.

واما الآخرون قد اختلفوا منهم من قال بوجوب الغسل على التعيين وهذا القول المشهور بين اهل السنة ومنهم من قال بوجوب الجمع بين المسح والغسل وينسب هذا القول الى بعض ائمة الزيدية والى بعض ائمة اهل الظاهر وهناك من قال بالتخيير فله ان يغسل وله ان يمسح الى غير ذلك من الاختلافات والفروقات، كذلك الإمامة فهي من المسائل الخلافية عند الشيعة الإمامية والفرق الكلامية، الإمامية جعلتها اصل من اصول الدين لا يتم الايمان الا بالاعتقاد بها في حين ان الاشاعرة ترى ان الإمامة هي مسؤولية اجتماعية وليست شرعية وان الإمام يجب ان يكون عادلاً وقوياً وذكياً ولذلك فان الإمام هو الذي يحكم بين الناس ويحميهم وهو موجود بسبب الحاجة اليه.

وهذه من المسائل الشائكة عند الفرق الكلامية بان تكون الإمامة أصل من أصول الدين او فرع من فروعها، هذه المواضيع وغيرها يعدها سعيد فودة محور مواضيع علم الكلام المعاصر، ويوضح الدور الأساسي له في الزمان المعاصر ويحدده بنحو الإجمال كالتالي:

- (١) إعادة بناء مسائل أصول الدين بصورة مقنعة مناسبة لثقافة العصر.
- (٢) المبالغة في تحري المعارف التي تفيدنا في خدمة بناء العقائد في نفوس الناس.
- (٣) العمل الجاد على الاستفادة من بحوث علم الكلام وخصوصاً في مجال إثبات وجود الله والنبوة، نظراً لما تتعرض له من تشكيكات هائلة في الزمن الحاضر ولا بد من إعادة الاهتمام بعلم الكلام بين المسلمين كعلم يدرس وتكون دراسته مقصودة وإعادة اعتباره بين المعارف الدينية.
- (٤) عمل مؤسسات بحثية تعمل على بحوث مهمة، تتعلق بالمسائل الأصلية في الدين.

- (٥) ترجمة الأعمال الضرورية في هذا المجال.
- (٦) العمل على توجيه الطلاب من التخصصات الأخرى غير الدينية على الاهتمام ببحوث علم الكلام وخصوصاً الأصلية منها لما لها من قدرة على التعامل مع آليات العلوم الحديثة.
- (٧) العمل على كتابة مقررات دراسية يجب دراستها على طلاب الشريعة من السنوات الأولى تتعلق بتقريب المسائل المهمة ولفت أنظارهم إليها (فودة، ب.ت، صفحة ٢٢).

وعلى ما سبق ذكره يتضح لدينا ان سعيد فودة استخدم مصطلح (علم الكلام) فقط ولم يستخدم مصطلح (الجديد او القديم) هذا المصطلح الذي أصبح محل خلاف بين الباحثين لأنه يرى ان المصطلحان يرومان الى معنى واحد وهو التركيز على المشكلات والمفاهيم التي تخص الكائن البشري لذلك يُعد سعيد فودة من بين العلماء الذين ساهموا في تطوير علم الكلام بطرق حديثة ومبتكرة.

ثالثاً: الفرق بين الفلاسفة والمتكلمين

الفلاسفة:

معروف أن كل علم من العلوم له مبادئ تقوم عليها قوانينه، وهذه المبادئ قد تكون مسلمات ومصادرات، وقد تكون بديهيات أو مبرهنات، وكل فيلسوف لا يمكنه أن يبنّي فلسفته إلا على نحو هذه المبادئ، ولا يستطيع فيلسوف أن يدعي أن كل ما أقام عليه فلسفته إنما هو بديهيات أو مبرهنات قطعية لا يحتمل النزاع فيها، بل لابد أن تكون الفلسفة، مشتملة على شيء من المسلمات أو المصادرات أو بعض المقدمات التي يظن ذاك الفيلسوف أنها مبرهنة قطعية، والواقع في نفس الأمر أنها ليست كذلك، وعلى كل الأحوال، فالفيلسوف يدعي أنه لا يستمد مقدماته إلا من العقل المحض ومن الحس، ولو كان ذلك صحيحاً، لما وجدنا كل ذلك التفاوت بين الفلاسفة في مقدماتهم التصورية والتصديقية، حتى ابتعدت المذاهب الفلسفية في أنواعها ما بين الفلسفات المحضة إلى المثالية المطلقة، واختلفت الفلسفات المادية ما بين الكلاسيكية إلى الجدلية المادية والتاريخية وهي الفلسفة الماركسية.

إذا لابد أن تكون بعض المقدمات التي يقيم عليها بعض الفلاسفة غير مبرهن عليها ونحن هنا لا نريد المبالغة في تحليل ذلك، والبرهنة عليه ولذلك فإننا نتبع في بيان هذه الفكرة نحو هذا الأسلوب الإجمالي، ويمكن القول أن الفلاسفة يشتركون في معنى واحد وهم أنهم يدعون أن شيئاً من مقدماتهم غير مأخوذ من الدين وأنهم لا يقيمون فلسفاتهم على المفاهيم الدينية، وهو معروف عندنا أن بعض الفلاسفة أخذوا من بعض الأديان مقدماتهم، ككثير من الفلاسفة الغرب، ولكنهم كانوا يدعون أن هذه المقدمات التي أخذوها، إما بديهية أو مبرهن عليها، ومع أخذهم لها من الدين إلا أنهم أطلقوا على أفكارهم التي استنبطوها والمفاهيم التي اخترعوها أسم الفلسفة، وكل همهم في ذلك إنما هو محاولة تفسير هذا الوجود بحيث يستطيعون بناء فلسفة عملية على نظراتهم الفكرية المجردة، فكل فلسفة فإنها تطمح إلى بناء أعمال نظرية وأعمال عملية.

ولذلك ترى الفلاسفة الكبار ينظرون في جميع المسائل وجوانب الحياة، حتى تراهم يقيمون نظماً شاملة للعالم المادي، وللعالم الإنساني، ويقترحون طرقاً لبناء الحياة عليها في الاجتماع والسياسة والاقتصاد، وكل ما يتفرع عن ذلك من أمور دقيقة، حتى أنهم يتكلمون في كيفية العلاقة التي يجب أن تكون بين الرجل والمرأة وبين الأب وابنه، وبين الحاكم والمحكوم وبين الشعوب المختلفة... وهكذا (فودة، ٢٠٠٩، الصفحات ٢٠-٢١).

المتكلمون:

لا يفترق عمل الفلاسفة عن المتكلمين في كثير مما وصفناه، إلا في عبارة واحدة يتجلى بها حقيقة الحال، وهي ما ذكره العلامة محمد السمرقندي وهو (عالم بالمنطق والفلك والهندسة) (السمرقندي، ب.ت، صفحة ١٤) وما نقله عنه سعيد فودة.

قال السمرقندي (ويمتاز عن العلم الإلهي المشارك له في هذه الأبحاث بكونه على طريقة هذه الشريعة)، وقال: (إنه علم يبحث فيه عن ذات الله تعالى وصفاته، وأحوال الممكنات في المبدأ والمعاد على قانون الإسلام) (فودة، ب.ت، الصفحات ٦٥-٦٦). أي يمكن التفرقة بين علم الكلام والفلسفة الإلهية بأن نظر العقل في الفلسفة الإلهية غير مأمون العواقب من حيث أن منهج الفيلسوف هو السير وراء عقله فقط والوثوق بالنتيجة التي يصل إليها بالدليل العقلي دون النظر إلى ما جاء به الشرع أما علم الكلام فالبحث فيه يستند إلى ما جاء عن الدين من العقائد ثم يلتمس العقل من الحجج ما يعاضد هذه العقائد التي وجب التصديق بها أو لا عن طريق الشرع وبعبارة أخرى مشهورة (الفيلسوف يستدل ثم يعتقد، والمتكلم يعتقد ثم يستدل (فودة، ب.ت، صفحة ٦٥).

وقال الشريف الجرجاني في شرح المواقف ويؤيده فودة بقوله: «ويمتاز الكلام عن الإلهي المشارك له في أن موضوعه أيضاً هو الوجود مطلقاً (باعتبار وهو أن البحث ههنا) أي في الكلام على قانون الإسلام، بخلاف البحث في الإلهي فإنه على قانون

..... الموقف الأشعري المعاصر بين الفلسفة وعلم الكلام

عقولهم وافق الإسلام أو خالفه»، إذن هذا هو الفرق الأساسي بين المتكلمين والفلاسفة، ويبين فودة أنه يمكن شرح مرادهم بكونه على قانون الإسلام، أي أنه يستمد بعض مبادئه من النقل، ولا يكفي بمجرد العقل ويبني نظامه بعد ذلك على مقدمات وقضايا مستمدة من العقل والنقل، ولذلك فإنه يوجد فرق بين الفلسفة التي تبني نظامها على مجرد القضايا التي تؤخذ من العقل، وبين القضايا التي تؤخذ من النقل والعقل (فودة، ٢٠٠٥، صفحة ١٤).

ولا يعني كون القضية مأخوذة من النقل أنها غير مبرهن عليها، فإن النقل أصلاً مبرهن عليه في أصل ثبوته وفي كثير من جزئياته، وغاية الأمر أن الإنسان يستعمل القضايا التي يأخذها من النقل في بناء نظام متكامل، ولا يتوقف في بنائه إلى أن يتمكن من معرفة البرهان على كل القضايا بالفعل فقط، ومثل من يفعل ذلك كالتلميذ الذي يدرس عند أستاذه، فإن فرضنا أن أستاذه هذا موثوق بعلمه ومشهود له، فلا يحسن بالطالب أن يتوقف في قبول كل القضايا التي يخبره بها أستاذه إلى أن يستطيع هو البرهنة عليها بعقله، لأنه لو فعل ذلك لطال به الزمان ولما ضمن أنه يستطيع البرهنة على كل ما يعرفه أستاذه إذ فوق كل ذي علم عليم، ولكن لو بنى على تلك المقدمات المستمدة من المصدر الموثوق به على سبيل العموم، فإن نفس بنائه المنظومي يمكن بعد ذلك أن يكون مؤشراً له على صحة تلك القضايا تفصيلاً (فودة، ٢٠٠٩، الصفحات ٢٢-٢٣).

وبعد هذا التوضيح بين الفلاسفة والمتكلمين سنجمل المقارنة بين الفلسفة وعلم الكلام على النحو التالي:

أولاً: من حيث الموضوع: يشترك الكلام والفلسفة في بحث بعض المواضيع كالإلهيات والنبوات والقيم والطبيعات وغيرها، وإن كان بحث المتكلم في بعضها مقصوداً لذاته، وفي الآخر لغيره، أما الفلسفة، فتحتمل البحث فيها وعدم البحث، وتحتمل أن تأخذها مقصودة لذاتها ومقصودة لغيرها، وذلك تابع لنوع الفلسفة، فإننا بينا أن الفلسفات بحسب توقعها متنوعة أنواعاً ولكل نوع منها أحكام وموضوع

وغايات، فالمقارنة بين العلمين لا يكون على سبيل الإجمال والإطلاق في كل الأمور بل يحصل تفاوت في الأحكام بحسب تنوع الفلسفة وغرض المتكلم.

ثانياً: من حيث الأدلة والوسائل المستعملة: فإن العلمين لا يتميز واحد منهما عن الآخر، إلا بمقدار ما يتحقق عندهما من حقية لتلك الأدلة، فلذلك يقبل الكلام والفلسفة عموماً جميع أنواع الأدلة، ولكن يبقى تقديرها في محالها، وهذا قد يحكمه أمور أخرى، مثلاً قد يعتبر الفلسفي الوضعي عدم الإحساس بالموضوع أو عدم وقوعه تحت التجربة كافياً لنفي إمكان البحث فيه وجوداً وعدماً، أو عبثية ذلك، ولكن ذلك عند المتكلم المنزه لله تعالى لا يلتفت إليه، بل يجعل وظيفته مشتملة على البرهان على عدم كفاية هذه الدعوى في نفي الوجود غير الواقع تحت ظرف التجربة ويقوم بإبطال دعوى الخصم أن ذلك كاف لنفيها أو عدم جدواها، ولكن المتكلم المعتقد بتجسيم الله تعالى قد لا يخالف الفلسفي الوضعي أو التجريبي في دعواه تلك، بل يوافقه عليها، ويستدل بموافقته، وهذا لا شك راجح إلى اختلاف في الاعتقاد بين المتكلمين، فهذا يبين أن القول بأن جنساً من الأدلة وطرق النظر مرفوض كلياً للمتكلم من حيث هو متكلم، هكذا على الإطلاق غير دقيق، إلا إذا تحقق لدينا نوع من الأدلة يخالف لذاته الموضوعات الكلية للعقائد الدينية، وهذا محال إلا إذا كانت الأدلة متوهمة لا صحة فيها بل مجرد دعوى.

ثالثاً: من حيث الغاية: لا شك أن منشأ أعظم تفاوت يظهر بين الفلسفة والكلام راجح إلى الغاية فإن المتكلم لا يستطيع أن ينكر أن غايته هي نصره العقائد الدينية، بغض النظر عن الاختلاف في الجزئيات بين المتكلمين، ولكن جنس الفلسفة لا يأبى أن يكون نوع من الفلسفات غير آبه بأصل العقائد الدينية من جذرها بل لا تنافي وجود فلسفات معارضة ومنكرة للعقائد الدينية من عمقها، ولا شك أن أعظم التجليات في النزاع بين الفلاسفة والمتكلمين يكمن في هذه النقطة وهي ما يخدم الغاية من الكلام تلك الغاية التي قد تأبأها أنواع معينة من الفلسفات أو لا تعارض في نفيها، أو قد تقرر

..... الموقف الأشعري المعاصر بين الفلسفة وعلم الكلام

أصولاً وأحكاماً تنافي في لوازمها ما تقرره الأديان، فيقع التنازع بينهما عندئذ، وهذا لا يستلزم كما هو ظاهر أن أصل الفلسفة يشترط أن تكون الفلسفة معارضة للدين صراحة أو لزوماً (فودة، ٢٠١٠، الصفحات ١٤-١٥).

رابعاً: من حيث المبادئ: قد يقول بعض الفلاسفة إن مجرد كون المتكلم آخذاً بعض المقدمات وإن لم تكن أدلة أو مقدمات أدلة، بل تصورات واحكام معينة، يأخذها مسلمت عنده، كوجود الله تعالى، وثبوت نبوة بعض الأنبياء فإن هذا بذاته يعارض أصل التفلسف فكل متكلم يستحيل بناء على ذلك أن يكون فيلسوفاً بأي وجه مطلقاً فيوجد تناف مطلق بينهما ولا تحقق للاشتراك ولا التآلف، ولا شك أن هذا القائل يبني كلامه على أن كل ما يمكن أن يقال في الفلسفة على اختلاف أنواعها وتشقيق عباراتها وأحكامها، مبني كله على الأدلة، وأنهم لا يأخذون شيئاً مسلماً أبداً بل كل ما يقررونه فإنهم يقيمون عليه الدليل أما ابتداء أو انهاء ولا شك أن هذه الدعوى عريضة جداً وقد أبطلها كثير من الباحثين، ولا يثبت لأحد أبداً من الفلاسفة أن كل ما يقول به فهو مبرهن عليه، وأنه لا يأخذ أمراً مطلقاً مسلماً، بل أثبت بعضهم أن كبار الفلاسفة أخذوا كثيراً من مقولاتهم من الأديان نفسها وأنهم حاولوا إخفاء ذلك وإيهام أنهم استنبطوه استنباطاً وتوصلوا إليه استدلالاً (فودة، ب.ت، الصفحات ١٦-١٧).

وعليه يمكن القول لنا بالمجمل ان العلاقة بين الفلسفة وعلم الكلام عند سعيد فودة هي علاقة ترابط وتكامل في عده جوانب اذ أن الفلسفة توفر الاطر الفكرية العامة التي تساعد على فهم مفردات علم الكلام واستمراره في حين يوفر علم الكلام الأدوات والمنهج الذي يسهم بفهم وتفصيل الجوانب التطبيقية المختلفة.

ومن المعروف عند الباحثين في هذا المجال أن بعض الفلاسفة أخذوا مقدمات من الأديان ككثير من فلاسفة الغرب المثال الظاهر على ذلك هيغل الفيلسوف الألماني، ومالبرانش، وسبينوزا، وكذلك هيوم فيقول طه عبد الرحمن (فقد أستمد من الدين بطريق مباشر الأصل الذي بني عليه نظريته في الأخلاق) (عبد الرحمن، ٢٠٠٠، صفحة ٤٦). وكذلك إيمانويل كانت فقد أخذ مفهوم (العقل) بدل مفهوم (الإيمان) ومفهوم (الأمر القطعي) بدل مفهوم (الأمر الإلهي)، ومفهوم (التجريد) بدل مفهوم (التنويه)، ومفهوم احترام القانون بدل مفهوم (محبة الإله) ومفهوم التشريع الإنساني للذات بدل مفهوم (التشريع الإلهي للغير)، ومفهوم الخير الأسمى بدل مفهوم النعيم ومفهوم (مملكة الغايات) بدل مفهوم (الجنة) (عبد الرحمن، ٢٠٠٠، صفحة ٣٩).

وغير هؤلاء الكثير من الفلاسفة الذين أخذوا مقدمات من الأديان ولكنهم كانوا يدعون أن هذه المقدمات التي أخذوها إما بديهية أو مبرهن عليها، ومع أخذهم لها من الدين إلا أنهم أطلقوا على أفكارهم التي استنبطوها والمفاهيم التي اخترعوها اسم الفلسفة، ومن ذكر ذلك الفيلسوف فيكتور دلبوس في تعليقاته على كتاب (أسس ميتافيزيقا الأخلاق) لكانت، حيث قرر تأثره بالمسيحية في مسألة الإرادة الخيرة، واستعمل مفهوم الطبيعة بدل العناية الإلهية، وفي أن تعاسة الإنسان كانت لتخلية عن الحالة الطبيعة وسيره في الطرق المدنية، تأثر أبروسو، وفي مسألة العمل بالواجب لأجل الواجب لا للمنفعة ويقول كانت بهذا الصدد (إن الواجب هو ضرورة إنجاز فعل احتراماً للقانون) (كانت، ٢٠١٠، صفحة ٥٥).

مما سبق يتضح لنا ان الفلاسفة لم يكونوا بعيدين عن الجانب الديني وانما استمدوا اغلب مقدماتهم من الدين نفسه وحاولوا ان يظهروا فلسفتهم بثوب جديد.

..... الموقف الأشعري المعاصر بين الفلسفة وعلم الكلام

ويوضح فودة لأجل هذا النحو من الاشتراك بين علم الكلام والفلسفة ذهب فريق من الكتاب الى وصف المتكلمين بالفلسفة وإطلاق أسم الفلسفة الإسلامية على التراث الكلامي للمسلمين وهذا يتضح جلياً في كتابات مصطفى عبد الرزاق حيث وافق هذا الاتجاه، ودعا الى إدراج علم أصول الفقه أيضاً في الفلسفة فقال (وعندي أنه إذا كان لعلم الكلام ولعلم التصرف من الصلة بالفلسفة ما يسوغ جعل اللفظ شاملاً لهما فإن علم أصول الفقه تكاد تكون في جملتها من جنس المباحث التي يتناولها علم أصول العقائد الذي هو علم الكلام، بل أنك لترى في كتب أصول الفقه أبحاث يسمونها مبادئ كلامية هي من مباحث علم الكلام) (عبد الرزاق، ٢٠٢١، صفحة ٢٧).

ووافقه تلميذه علي سامي النشار فقد ذهب مذهب المدح مشيراً الى أن علم الكلام لا يقتصر على الفلسفة فإن كان الغرب يتفاخرون بالفلسفة التي أنتجتها عقول أبنائه، فإننا نتفاخر بالكلام وهو يضارع الفلسفة عن الغرب، وقد عد النشار (البحوث التي أنتجها علماء الإسلام في علم التوحيد منشأ الدراسات الإسلامية الحقة، وأن علم الكلام بحث فلسفي) (النشار، ١٩١٩، صفحة ٦٠).

وبيين فودة رفض النشار بإدراج فلاسفة نحو الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد في الفلسفة الإسلامية خلافاً لأستاذه مصطفى عبد الرزاق فقال (غير أن هذه الرؤية اعتبرت فلسفة الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد وغيرهم من شراح فلسفة اليونان، فلسفة إسلامية فيها أصالة وإبداع وفي هذا مجافاه للبحث العلمي الذي أثبت أن هؤلاء الفلاسفة لا يمثلون على الإطلاق فيما تركوا من كتب وصلت إلينا الأصالة الإسلامية الفلسفية وينبغي لكي نبين الجانب الأصيل في الفلسفة الإسلامية، أن نعرض لمختلف الثقافات الفلسفية التي تكون دائرة معارفهم) (فودة، ب.ت، صفحة ٤٧).

وقد أصبح مصطلح الفلسفة الإسلامية شاملاً لما يسمى فلسفة، أو حكمة ولمباحث علم الكلام، ولقد اشتد الميل الى اعتبار التصوف من شعب هذه الفلسفة، وترمي الجهود القوية التي يبذلها أتباع المدرسة الحديثة الى اعتبار علم أصول الفقه من المباحث الفلسفية، فهذا العلم ليس بضعيف الصلة بالفلسفة (عبد الحميد، ١٩٨٤، صفحة ٢٠).

وقال عبد الحليم محمود بعد كلام له يتعلق بهذا المعنى: «بأن كل شخص يجعل الورك من حياته، وغرضه من عمره، الحكمة، هو فيلسوف ومن الطبيعي إذن أن يتخذ الطالبون للحكمة طرقاً مختلفة، ويكونوا بحسب هذه الطرق فرقاً مختلفة، وقد ذكرهم الإمام الغزالي تحت وصف أصناف الطالبين للحق وهم على حد تعبيره (المتكلمون): وهم يدعون أنهم أهل الرأي والنظر، والفلاسفة و(الفلاسفة): وهم يزعمون أنهم أهل المنطق والبرهان...» (محمود، ب.ت، الصفحات ١٧٣-١٧٤)، وقد ذهب هاري ولفسون الى حد أن سمى كتابه باسم (فلسفة المتكلمين) ولا يخفى على البصير ما في بعض تلك الآراء من بُعد ومبالغة، وقد يكون منشأ ذلك التوجه شيوع لفظ الفلسفة في هذا الزمان واستحسان جهات من منهجهم أو أفكارهم على سبيل العموم (فودة، ٢٠٠٩، صفحة ٨٠).

..... الموقف الأشعري المعاصر بين الفلسفة وعلم الكلام

المسائل المبحوثة في علم الكلام ولا تبحث في غيره من العلوم

يحدد فودة أن هناك مسائل لا تبحث في علم غير علم الكلام ولا يشك عاقل في أهمية هذه المباحث في ذاتها ومن هذه المسائل هي:

أولاً: وجود الله تعالى وتوحيده، ومعرفة صفاته وما يترتب على ذلك من نتائج عملية عديدة لا تحفى.

ثانياً: مناقشة الأفكار والفلسفات الأخرى المخالفة للدين الإسلامي وهذه تنقسم إلى قسمين:

❖ معرفة مجادلة الأديان السماوية الأخرى وتسميتها بالسماوية إنما هو باعتبار أصلها ومصدرها لا باعتبار ماهي عليه الآن.

❖ والقسم الثاني معرفة مناقشة الأفكار والفلسفات الأخرى المستنبطة والمخترة من قبل الإنسان. كالفلسفات العلمانية والمادية والوضعية بأنواعها المختلفة. فلا يوجد علم يليق أن تبحث فيه مثل هذه المباحث إلا علم الكلام.

ويوضح فودة أن ههنا تظهر خطورة البحث في التقريب بين الأديان فإذا كان التقريب مشروطاً باعتبار الدين الإسلامي في نفس المنزلة بالنسبة للأديان الأخرى، فهناك محذور، وإلا فمع اعتبار أولوية الإسلام وأحقيته، فلا مانع من بناء التعاون والتقارب وهذا الأحد لا بد من ملاحظته والتشديد عليه عند علم الكلام على مسألة التقريب بين الأديان.

ثالثاً: لا ريب أن علم الكلام هو العلم اللائق ببحث النزاعات بين الفرق الإسلامية ومحاولة معرفة المصيب منها من المخطئ أو أكثر صواباً من غيره.

والجدال بين المسلمين في أمور الدين مطلوب شرعاً خلافاً لما يعتقد البعض من كونه محرماً وذلك أن الخلاف لا ريب واقع وإزالة الخلاف واجبة بقدر الطاقة البشرية، ولا يمكن إزالة الخلاف أو محاولة ذلك إلا بالكلام والجدال بالتي هي أحسن، فالكلام

في أمور الدين الأصلية التي تسمى في عرفنا عقائدية لا شك مطلوب، وإهمال الخلافات أو محاولة تناسيها والتغافل عنها لا يمكن أن يكون بديلاً عن محاولة الوصول الى الأقرب الى الحق أو الى الصواب منها، فعدم إمكانية الوصول الى الاتفاق الشامل بين جميع المسلمين لا يجوز أن يستلزم التغافل عن وجود الخلاف، والأصول الكلامية تدل على أن الخلاف لا ريب حاصل، وقد تقرر في الدين الحنيف أن التعاون بين المسلمين لا بد واجب فهاتان مقدمتان بديهيتان:

الأولى: وجود الخلاف واستمراره.

الثانية: وجود التكامل والتعاون بين المسلمين.

فإذا قلنا بأن التعاون لا يمكن حصوله إلا بالاتفاق التام بين سائر المسلمين على كل شيء في العقائد أصلها وفرعها، فهذا يستلزم استحالة وجود التعاون وهو باطل.

وإذا قلنا: بما أن التعاون واجب، وهو مشروط بالاتفاق فيجب علينا تناسي الخلاف ومحاولة التغافل عنه، فهذا لا ريب غير صحيح لأن فيه إهمال الموجود وإغفال ما لا يمكن التغافل عنه، فكل فرقة تزعم أنها المصيبة المحقة، فكيف يطلب منها التغافل عما تدعي أنها أصابت فيه فهذه هي الإشكالية في ضمن هذا الوجه من النظر، والتحقيق الكلامي المبني على الأصول الكلامية يقتضي على الجميع بنوع من النظر بين هاتين المقدمتين، فواحدة منها مأخوذة من الحس والمشاهدة، وهي من وسائل المعرفة، والأخرى مأخوذة من القطعيات الدينية فإهمال واحدة منهما أو التغافل عنها لا يصح، فيترتب على ذلك وجوب العمل على التعاون في حال ملاحظة الخلاف ووجوب بناء كلام عملي للتعاون بملاحظة فيه هذان الوجهان والحقيقتان فيجب بناء التعاون مع ملاحظة الخلاف. فأما أن يبنى على المختلف فيه، أو على المتفق عليه، ولا شك أن البناء لا يكون إلا على المتفق فيه، وبالتالي يبنى العمل الواجب تحصيله على القدر الذي حصل عليه الاتفاق بين المسمى مع عدم إهمال خصوصية واحدة من الفرق الإسلامية واستمرار الجدل بينهم بالتي هي أحسن.

..... الموقف الأشعري المعاصر بين الفلسفة وعلم الكلام

رابعاً: قد ينظر البعض الى وجود الخلافات بين المسلمين على أنها خطر داهم ويجب نفي الخلافات مطلقاً، وأنها ضرر يؤدي بالأمة الى مهلكتها، ولكن نقول من جهة أخرى، أن وجود الخلافات المعتبرة بين الفرق الكبرى مع كونه من جهة يترتب عليه بعض المفاسد إلا أنه يترتب عليه الكثير من المصالح الأخرى، أهمها الدوام النظر وإدامة التحقيق والبحث في تلك الأصول، ويترتب عليها وجود التنافس في الرد على الخصوم الخارجين على الدين من وجهة نظر. فكما قال الإمام الغزالي عندما ناقش الفلاسفة، أنني لا أخاطبكم بلسان الأشاعرة فقط، بل بلسان سائر الفرق الإسلامية، فكلها تجتمع عليكم، (فودة، ٢٠٠٥، الصفحات ٢٧-٢٨).

وعليه تنفرد أهمية علم الكلام من أهمية المواضيع التي تندرج تحته ولا يمكن للعلوم الأخرى ان تتناولها بشيء من التفصيل فهو يلعب دور المؤثر بالنسبة الى العلوم الدينية فلو لم تتمكن من إثبات (وجوده تعالى) لا يكون لعلم الفقه والتفسير والحديث موضوع، اذ لن يكون هناك مكلف ولن يكون منزل لكتاب ولن يكون هناك ثواب وعقاب ولن يكون هناك مرسل لرسول ليصل بنا الكلام الى حجه كلامه وتكون هناك ضرورة لجمعه وتدوينه وتبويبه، فممكن القول ان علم الكلام هو أساس جميع العلوم الدينية ولا يمكن الدخول بمسائل العلوم الدينية الأخرى كأصول الفقه وفروعه دون الاطلاع على المسائل المتعلقة بأصول الدين فهل يمكن بناء السقف دون وضع الاساس!

الخاتمة

(١) أن علم الكلام هو علم ضروري في وقتنا الحاضر ويجب الاهتمام به ليكون سهل المنال للباحثين ليطلعوا من خلاله على أهم النظريات التي قد تهدد الإسلام من الممارسات الداخلية والخارجية والتي تهدف الى الإطاحة بالإسلام ومعالمة.

(٢) نحن بحاجة فعلية واحتياج دائم الى البحث في مواضيع علم الكلام لأن الشبه الواردة على الدين لم تنته ولن تنتهي حتى آخر الزمان ولا يوجد علم يتصدى للدفاع عن العقائد الدينية غير علم الكلام.

(٣) أن العلاقة بين الفلسفة وعلم الكلام، عند سعيد فودة هي علاقة توافق وتلائم وترابط فكلاهما مكمل لبعضه الآخر، فالفلسفة تعمل بالتعاون مع علم الكلام على فهم ومناقشة القضايا الالامحدودة كوجود الله والمعرفة والقيم والأخلاق والواقع، ويشارك كلا المجالين في تطوير وتعميق الفهم الفلسفي والوصول الى إجابات مقنعة مرتبطة بالعالم والوجود.

(٤) أن الفلاسفة لم يكونوا بعيدين عن الجانب الديني فقد استمد أكثر فلاسفة الغرب مقدماتهم من الدين سواء كان ذلك بصورة مباشرة أو غير مباشرة وهذا دليل على الترابط المباشر بين العقل والنقل.

(٥) وحدة الهدف المشتركة بين ما يقال علم الكلام القديم والمعاصر والتي هي محل خلاف بين الباحثين حيث حاول البعض الفصل بين العلمين مستندين على كلمة الجديد، فالقديم اهتم بالدفاع عن العقيدة الإسلامية في حين اهتم الآخر بصورة خاصة بالإنسان، لكن من خلال سير البحث تبين لنا أن العلمين فيما بينهم عامل مشترك هو الدفاع عن القرآن وهذا الدفاع يحمل منهجاً وطرقاً مختلفة.

(٦) أهم التوصيات التي يؤكد عليها البحث اهمية الدراسات الكلامية كونها بمثابة خارطة طريق تدلنا على النهج الصحيح في اتباع مسائل العقيدة الإسلامية ومناقشة الأقوال والآراء المخالفة لها.

.....الموقف الأشعري المعاصر بين الفلسفة وعلم الكلام

المصادر

- ❖ ابن خلدون. (٢٠٠٠). المقدمة. بيروت: دار ومكتبة الهلال.
- ❖ ابن عساكر الدمشقي. (١٣٤٧هـ). تبين كذب المفتري فيما نسب الى الامام ابي الحسن الأشعري. مطبعة التوفيق.
- ❖ ابن عساكر الدمشقي. (١٨٩٢ هـ). تبين كذب المفتري فيما نسب الى الامام الحسن الأشعري.
- ❖ ابي اسحاق الشيرازي الشافعي. (ب.ت). طبقات الفقهاء. بيروت: دار الرائد العربي.
- ❖ ابي العباس شمس الدين بن خلكان. (١٨٩٢). وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان. بيروت: دار الصادر.
- ❖ ابي المعالي الجويني. (١٩٩٦). التلخيص في اصول الفقه. بيروت: دار البشائر الإسلامية.
- ❖ ابي المعالي الجويني. (١٩٩٧). البرهان في اصول الفقه. المنصورة - مصر: دار الوفاء.
- ❖ ابي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي. (ب.ت). تاريخ بغداد او مدينة السلام. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ❖ ابي بكر بن الطيب الباقلاني. (٢٠٠٠). الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به. مصر: المكتبة الازهرية للتراث.
- ❖ أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني. (١٩٧١). اعجاز القرآن. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ❖ ابي حامد الغزالي. (١٩٩٥). المستصفى من علم الاصول. بيروت: دارالصادر.

م. د. رواء راضي محمد.....

❖ ابي حامد الغزالي. (١٩٩٨). المنحول من تعليقات الأصول. بيروت: دار الفكر المعاصر.

❖ ابي حامد الغزالي. (١٩٩٨). المنحول من تعليقات الأصول. بيروت.

❖ احمد الكاتب. (٢٠٠٨). تطور الفكر السياسي السني نحو خلافة ديمقراطية. بيروت: الانتشار العربي.

❖ احمد أمين. (٢٠١٢). ظهر الاسلام. القاهرة: مؤسسة الهداوي للتعليم والثقافة.

❖ الحسن بن يوسف الحلي. (٢٠٠١). تهذيب الوصول الى علم الاصول. لندن: مؤسسه الامام علي (عليه السلام).

❖ ايمانويل كانت. (٢٠١٠). أسس ميتافيزيقا الاخلاق. الاسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

❖ تاج الدين ابي نصر عبد الوهاب السبكي. (١٩١٨). طبقات الشافعية الكبرى. القاهرة: دار احياء الكتب العربية.

❖ تاج الدين عبدالرحمن الفراري. (١٩٩٧). شرح الورقات لإمام الحرمين الجويني. الكويت: دار البشائر الاسلامية.

❖ تقي الدين احمد بن علي المقرئزي. (١٩٩٧). المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئزية. القاهرة: مكتبة مدبولي.

❖ حسن مكّي العاملي. (ب.ت). بداية المعرفة (منهجية جديدة في علم الكلام). النجف الاشرف: مكتبة دار المجتبي.

❖ خير الدين الزركلي. (٢٠٠٢). الاعلام (قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين). بيروت: دار العلم للملايين.

❖ سعيد فودة. (٢٠٠٠). الكاشف الصغير عن عقائد ابن تيمية. عمان: دار الرازي للطباعة والنشر والتوزيع.

❖ سعيد فودة. (٢٠٠٢). الموقف. عمان: دار الرازي للنشر.

- الموقف الأشعري المعاصر بين الفلسفة وعلم الكلام
- ❖ سعيد فودة. (٢٠٠٥). علم الكلام وأثره المنهجي في الفكر الاسلامي ، محاضرة القاها سعيد فودة في المعهد العالمي للفكر الاسلامي.
- ❖ سعيد فودة. (٢٠٠٥). علم الكلام واثره المنهجي في الفكر الاسلامي (محاضرة ألقاها سعيد فودة في المعهد العالمي للفكر الإسلامى).
- ❖ سعيد فودة. (٢٠٠٩). موقف ابن رشد الفلسفي من علم الكلام وأثره في الاتجاهات الفكرية الحديثة (دراسة تحليلية نقدية). الاردن: دار الفتح للدراسات والنشر.
- ❖ سعيد فودة. (٢٠٠٩). موقف الإمام الغزالي من علم الكلام. عمان: دار الفتح للدراسات والنشر.
- ❖ سعيد فودة. (٢٠١٠). تأملات في الفكر الفلسفي عن الإمام الأشعري.
- ❖ سعيد فودة. (٢٠١٠). تعريف عام بالأشاعرة ونبذة عن وضعهم في المملكة الأردنية الهاشمية.
- ❖ سعيد فودة. (٢٠١٠). تعريف عام بالأشاعرة ونبذة عن وضعهم في المملكة الأردنية الهاشمية.
- ❖ سعيد فودة. (٢٠١٠). تعريف عام بالأشاعرة ونبذة عن وضعهم في المملكة الأردنية الهاشمية.
- ❖ سعيد فودة. (٢٠٢٢). محاضرة منشورة على YouTuPe . الاردن: watch <https://m.youTuPe.com>.
- ❖ سعيد فودة. (٢٠٢٣). محاضرة ألقاها سعيد فودة. almostaneer.
- ❖ سعيد فودة. (٢٠٢٣). محاضرة فيديو. المستنير / almostaneer.com.
- ❖ سعيد فودة. (٢٠٢٣). محاضرة فيديو. المستنير almostaneer.com.
- ❖ سعيد فودة. (ب.ت). بين الفلسفة وعلم الكلام.
- ❖ سعيد فودة. (ب.ت). بين الفلسفة وعلم الكلام.

م. د. رواء راضي محمد.....

❖ سميح دغيم. (٢٠٠٢). موسوعة مصطلحات الأشعري والقاضي عبد الجبار. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.

❖ سيف الدين الأمدي. (١٩٨٠). الاحكام في اصول الاحكام . بيروت: دار الكتب العلمية.

❖ شمس الدين السمرقندي. (ب.ت). الصحائف الالهية. ب.م.

❖ شمس الدين محمد بن احمد الذهبي. (١٩٨٤). سير اعلام النبلاء. مؤسسة ارلسالة.

❖ شمس الدين محمد عثمان الذهبي. (ب.ت). سير اعلام النبلاء. بيروت: مؤسسة الرسالة.

❖ شهاب الدين اب الفلاح الحنبلي. (١٩٧١). شذرات الذهب في اخبار من ذهب. بيروت: دار الكتب العلمية.

❖ شهاب الدين ياقوت الحموي. (١٩٥٦). معجم البلدان. بيروت: دار صادر.

❖ طه عبدالرحمن. (٢٠٠٠). سؤال الاخلاق (مساهمة في النقد الاخلاقي للحدثا الغريبة). المغرب: المركز الثقافي العربي.

❖ طه عبدالرحمن. (٢٠٠٠). سؤال الأخلاق(مساهمة في النقد الأخلاقي للحدثا الغريبة). المغرب: المركز الثقافي العربي.

❖ عبد الحليم محمود. (ب.ت). التفكير الفلسفي في الاسلام. ب.م: دار المعارف.

❖ عبد القاهر البغدادي. (١٩٢٨). أصول الدين. استنبول.

❖ عبدالرزاق احمد السنهوري. (ب.ت). فقه الخلافة وتطوها لتصبح عصبة أمم شرقية. مؤسسة الرسالة.

❖ عرفان عبد الحميد. (١٩٨٤). الفلسفة الاسلامية دراسة ونقد . مؤسسة الرسالة.

❖ علي سامي النشار. (١٩١٩). نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام. القاهرة: دار المعارف.

❖ كامل محمد محمد عويضة. (ب.ت). الأعلام من الفلاسفة(ابو بكر الرازي الفيلسوف). بيروت: دار الكتب العلمية.

..... الموقف الأشعري المعاصر بين الفلسفة وعلم الكلام

- ❖ محمد بن عمر الرازي . (ب.ت). عصمة الانبياء. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ❖ محمد بن عمر بن الحسن الرازي. (ب.ت). عصمة الانساب. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ❖ محمد بن محمد الحسيني الزبيدي. (ب.ت). اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ❖ محمد ضياء الدين الريس. (ب.ت). النظريات السياسية الاسلامية. القاهرة : دار التراث.
- ❖ محي الدين ابي محمد عبدالقادر القرشي الحنفي. (١٩٩٣). الجواهر المصنّية في طبقات الحنفية. هجر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ❖ مصطفى حلمي. (٢٢٠٤). نظام الخلافة في الفكر الاسلامي . بيروت: دار الكتب العلمية.
- ❖ مصطفى عبدالرزاق. (٢٠٢١). تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية. مؤسسة هندراوي.

